هذه الاية ويروى ان احد الجاريتين جات ببرد وجات الاخرى بدينار فقال لهما ارجعا فازنيا فقالتا
والله لا نفعل قد جا الاسلام وحرم الزنا فاتيتا رسول الله صلى الله عليه وسلم وشكتا اليه فانزل الله
هذه الاية واختلف العلما في معنى قوله ان اردن تحصنا على اقوال احدها ان الكلام ورد على سبب وهو الذي
ذكر في سبب نزول الاية فخرج النهي على صفة السبب وان لم يكن شرطا فيه القول الثاني انما شرط ارادة التحصن
فان الامة اذا لم ترد التحصن فانها تبغي بالطبع طوعا القول الثالث يعني اذا اي اذا اردن تحصنا كقوله
وانتم الاعلون ان كنتم مومنين اي اذ كنتم مومنين القول الرابع ان في هذه الاية تقديما وتاخيرا تقديره
وانكحوا الايامى منكم ان اردن تحصنا ولا تكرهوا فتياتكم على البغا لتبتغوا عرض الحياة الدنيا اي لتطلبوا
من اموال الدنيا يريد كسبهن وبيع اولادهن ومن يكرههن يعني على الزنا فان الله من بعد اكراههن غفور
رحيم يعني للمكرهات والوزر على المكره وكان الحسن اذا قرا هذه الاية قال لهن والله لهن قوله تعالى ولقد انزلنا
اليكم ايات مبينات اي من الحلال والحرام ومثلا من الذين خلوا من قبلكم اي شبها من حالكم بحالهم ايها المكذبون وهذا
تخويف لهم ان يلحقهم ما لحق من كان قبلهم من المكذبين وموعظة للمتقين اي للمومنين الذين يتقون الشرك والكباير
قوله عز وجل الله نور السموات والارض قال ابن عباس معناه هادي السموات والارض فهم بنوره الى الحق يهتدون وبهداه
من حيرة الضلالة ينجون وقيل معناه نور السموات والارض نور السما بالملايكة ونور الارض بالانبيا وقيل نور
السموات اي مزين السموات بالشمس والقمر والنجوم ومزين الارض بالانبيا والعلما والمومنين وقيل بالزرع في الارض
بالنبات والاشجار وقيل معناه ان الانوار كلها منه وقد يذكر بهذا اللفظ على طريق المدح كقول الشاعر
اذا سار عبد الله عن مرو ليلة ۞ فقد سار عنها نورها وجمالها ۞ مثل نوره اي مثل نور الله عز وجل في قلب المومن
وهو النور الذي يهتدي به وقال ابن عباس مثل نوره الذي اعطى المومن وقيل الكناية عايدة الى المومن اي مثل
نور قلب المومن وقيل اراد بالنور القران وقيل هو محمد صلى الله عليه وسلم وقيل هو الطاعة تسمى طاعة الله نورا
واضاف هذه الانوار الى نفسه تشريفا وتفضيلا كمشكاة فيها مصباح هي الكوة التي لا منفذ لها قيل هي بلغة
الحبشة فيها مصباح اي سراج واصله من الضوء المصباح في زجاجة يعني القنديل وانما ذكر الزجاجة لان
النور وضوء النار فيها ابين من كل شي وضوؤه يرى خارج الزجاجة ثم وصف الزجاجة فقال الزجاجة كانها
كوكب دري من در الكواكب اذا اندفع منقضا فيتضاعف نوره في تلك الحال وذلك الوقت وقيل هو من درا النجم
اذا طلع وارتفع وقيل دري اي شديد الانارة نسب الى الدر في صفايه وحسنه وان كان ضوء الدر دون ضوء الكوكب
لكنه يفضل الكوكب بصفايه كما يفضل الدر على ساير اللولو وقيل الكوكب الدري احد الكواكب السيارة
الخمسة التي هي زحل والمشتري والمريخ والزهرة وعطارد وقيل شبه بالكواكب ولم يشبه بالقمر والشمس لانهما
يلحقهما الكسوف بخلاف الكواكب توقد اي المصباح من شجرة اي من الشجرة شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية
اي من زيت شجرة مباركة كثيرة البركة وفيها منافع كثيرة لان الزيت يسرج منه ويدهن به وهو ادام وهو اصفى
الادهان واضوؤها وقيل انها اول شجرة نبتت بعد الطوفان وقيل اراد به زيتون الشام لانها هي الارض
المباركة وهي شجرة لا يسقط ورقها عن اسيد بن ثابت او ابي اسيد الانصاري قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم كلوا الزيت وادهنوا به فانه يخرج من شجرة مباركة اخرجه الترمذي لا شرقية ولا غربية اي ليست
شرقية وحدها لا تصيبها الشمس اذا اشرقت بالغدوة اذا طلعت بل ضاحية للشمس طول النهار تصيبها
الشمس عند طلوعها وعند غروبها فتكون شرقية غربية تاخذ حظها من الامرين فيكون زيتها اضوا
وهذا معنى قول ابن عباس وقيل معناه انها ليست في صفات لا تصيبها الشمس ولا في مضحاة لا تصيبها

الظل

الظل ولا يصيبها شمس ولا ظل وقيل معناه انها معتدلة ليست في شرق يضرها الحر ولا في غرب يضرها البرد وقيل
هذه الشجرة ليست من اشجار الدنيا لانها لو كانت من اشجار الدنيا لكانت شرقية او غربية وانما هو مثل ضربه الله لنوره
يكاد زيتها يضي اي من صفايه ولو لم تمسسه نار اي قبل ان تمسه النار نور على نور اي المصباح على نور الزجاجة

فصل في بيان التمثيل المذكور في الاية اختلف اهل العلم في معنى هذا التمثيل المذكور فقيل المراد به
الهدى ومعناه ان هداية الله تعالى قد بلغت في الظهور والجلال الى اقصى الغايات وصارت لذلك بمنزلة المشكاة
التي فيها زجاجة صافية وفي تلك الزجاجة مصباح يتقد بزيت بلغ النهاية في الصفا والرقة والبياض فاذا كان كذلك
كان كاملا في صفايه صلح ان يجعل مثلا لهذه الهداية لله تعالى وقيل وقع هذا التمثيل لنور محمد صلى الله
عليه وسلم قال ابن عباس لكعب الاحبار اخبرني عن قوله تعالى مثل نوره كمشكاة قال كعب هذا مثل ضربه الله لنبيه
محمد صلى الله عليه وسلم فالمشكاة صدره والزجاجة قلبه والمصباح توقد من شجرة مباركة هي شجرة النبوة يكاد نور
محمد صلى الله عليه وسلم وامره يتبين للناس ولو لم يتكلم به انه نبي كما يكاد ذلك الزيت يضي ولو لم تمسسه نار
وروى عن ابن عمر في هذه الاية قال المشكاة جوف محمد صلى الله عليه وسلم والزجاجة قلبه والمصباح الذي جعله
الله فيه لا شرقية ولا غربية لا يهودي ولا نصراني توقد من شجرة مباركة ابراهيم نور على نور نور قلب ابراهيم ونور
قلب محمد صلى الله عليه وسلم وقال محمد بن كعب القرظي المشكاة ابراهيم والزجاجة اسماعيل والمصباح محمد صلى الله
عليه وسلم عليهم اجمعين سماه الله مصباحا كما سماه سراجا منيرا والشجرة المباركة ابراهيم صلى الله عليه وسلم
لان اكثر النبيين من صلبه لا شرقية ولا غربية يعني ابراهيم يعني لم يكن يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا
مسلما لان اليهود تصلي الى الغرب والنصارى تصلي الى الشرق يكاد زيتها يضي ولو لم تمسسه نار يكاد محاسن
محمد صلى الله عليه وسلم تظهر للناس قبل ان يوحى اليه نور على نور من نسل نبي نور محمد صلى الله عليه وسلم على نور
ابراهيم وقيل وقع هذا التمثيل لنور قلب المومن قال كعب الاحبار هذا مثل المومن فالمشكاة نفسه
والزجاجة قلبه والمصباح ما جعل الله فيه من الايمان والقران توقد من شجرة مباركة هي شجرة الاخلاص
لله وحده فمثله مثل شجرة قد التفت بها الشجر فهي خضرا ناعمة نضرة لا تصيبها الشمس اذا طلعت ولا اذا
غربت فكذلك المومن قد احترس ان يصيبه شي من الفتن فهو بين اربع خصال ان اعطي شكر وان
ابتلي صبر وان حكم عدل وان قال صدق يكاد زيتها يضي اي يكاد قلب المومن يعرف الحق قبل ان يتبين
له لموافقته اياه نور على نور قال ابي ان المومن يتقلب في خمسة انوار قوله نور وعمله نور ومدخله نور
ومخرجه نور ومصيره الى النور يوم القيامة هذا مثل ضربه الله لنور الله وهداه في قلب المومن يكاد
الزيت الصافي يعني قبل ان تمسه النار فاذا مسته النار ازداد ضوا على ضويه فكذلك يكاد قلب المومن
يعمل بالهدى قبل ان ياتيه العلم فاذا جاءه العلم ازداد هدى على هدى ونورا على نور وقال الكلبي نور
على نور يعني ايمان المومن وعمله وقيل نور الايمان ونور القران وقيل هذا مثل القران فالمصباح هو
القران كما يستضا بالمصباح فكذلك يهتدى بالقران والزجاجة قلب المومن والمشكاة فمه ولسانه والشجرة المباركة
شجرة المعرفة في قلبه يكاد حجة القران تتضح وان لم يقرا نور على نور يعني القران نور من الله لخلقه مع ما اقام لهم
من الدلايل والاعلام قبل نزول القران فازدادوا بذلك نورا على نور قوله تعالى يهدي الله لنوره من يشا
قال ابن عباس لدين الاسلام وهو نور البصيرة ويضرب الله الامثال للناس اي يبين الله الامثال
للناس تقريبا الى الافهام وتسهيلا لسبيل الادراك والله بكل شي عليم قوله عز وجل في بيوت اي
ذلك المصباح يوقد في بيوت والمراد بالبيوت جمع المساجد قال ابن عباس المساجد بيوت الله في الارض

Copyright © King Saud University